١ - الدهناء ؟؟

للأستاذ عبد الله بن محمد بن خميس

تتخلل جزيرة العرب رمال كثيرة منبتة هنا وهنالك ، أكثرها وأغزرها وأطولها امتداداً وأرحبها رقعة (بعد الربع الخالى) هى الدهناء ، تنطلق من عرض الربع الخالى من تحت الأفلاج شرقا ، وتذهب مشملة آخذة ما بين (الصلب) شرقاً و(العرمة) غرباً ، وهكذا حتى تجتاز (جبلى طىء) ، ثم تأخذ شطر الغرب فالغرب الجنوبى لتقف قريباً من (تيماء) ، وحينما تذهب مغربة تتعاظم وتتكاثف وتسمق وتتداخل شقائقها ، وهذا ما يسمى بـ (رمل عالج) ..

و(الدهناء) حيناً تتكاوس رمالها وتتداخل وتمحى شقائقها وتعفى طرفها فلا يسار فيها إلا بمعرفة الجهة ولا يقطعها إلا خريت ماهر .. وحيناً تنقاد حبالها وتتواكب شقائقها وتبرز أعلامها .. وهذا يرجع إلى طبيعة تكوينها ورمالها المتحركة فى بعض أجزائها والساكنة فى أجزاء أخرى ، لذا تجدهم يتخذون منها مسارات معلومة وطرقاً لاحبة إلى ذلك أن الدهناء خالية من المناهل قفر من المياه ، فكانت فى حقبها الماضية مضيعة مهلكة ابتلعت الكثير وطوت فى جوفها القوافل والمجتازين .. ولما كانت هجر سابقاً هى الممون الرئيسى لنجد بادية وحاضرة بالمياه والكساء وأكثر مستلزمات الحياة بحكم أنها بلاد زراعية تنتج التمور والحبوب .. إلخ ، كما أنها بلاد صناعية تغزل الصوف والوبر والشعر وتصنّعه وتنتج الأدوات الزراعية وتصنع الأقتاب والرحال .. إلخ .. وهى أيضاً باب الجزيرة إلى الهند وشرق جنوبى آسيا بواسطة مرفئها المعروف (العقير) ، لذلك فإن لها طرقاً معروفة تعبر الدهناء من نجد ، فكل جهة من جهاتها الممتدة من الشمال إلى الجنوب لها طريق معروف .. فالعارض وما صاقبه جنوباً وما فوقه غرباً يسلك أهله طريق (مزاليج) الطريق الجنوبى يتزودون بالماء من منهل (أبى جفان) فى طرف (العرمة) الجنوبية ، ثم لاماء أمامهم دون الأحساء وفيه كثب وعمرة

ألقى هذا البحث فى الجلسة الثامنة لمؤتمر المجمع بتاريخ ٣ من ذى القعدة سنة ١٤١٥ هـ الموافق ٣ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٥ م

شاقة تجتازها الرواحل بصعوبة شديدة ، وهى التى عناها محسن الهزانى فى تائيته حينما وصف الركب الوهمى الذين حملوا رسالته لصديقه (سعد بن عفالق) فى الأحساء ، هذه الكثب هى (مزعلات) قال :

يسرحن الصبح من جرعا نعام

والعصير منكبات مزعلات

والعتيم القابلة من غير أين

يشربن بروسهن من ما الصراة

يقصد صراة الأحساء .. وسميت (مزعلات) لأنها تزعل مجتازها أى تغضبه وتحنقه بوعورة اجتيازها ..

ومزاليج أيضاً هى التى يقصدها عبيد بن رشيد فى قصيدته التى يقول منها :

أقفن بنا مثل القطامع مزاليق

وصارت توالى كل عشر ثمان

العارض المنقاد للخرج لطويق

يالعنبو سكان هاك المكان

عفا الله عنه إنها لا تستحق منه هذا !!

ومزاليج أيضاً هى التى يقصدها الرقاص بقوله :

هنى من درهمت به فرخة الحرة

معط مزاليج والا معط الجودى

وابعد عن الهاجرى وابعد عن المرة

لو كان ماجا من الأجواد منقود

و(مزاليج) هى العلم البارز الذى سُمى به حقل النفط الغنى الذى كشف فى تلك المنطقة أخيراً ولما يستغل بعد ، ويؤسفنا أن الزحف على الفصحى بوساطة العناصر الأجنبية التى تعمل فى حقول النفط كشفا واستخراجا ويقلدهم أشباههم من مواطنينا الذين يعملون معهم ، يلحقون الألف واللام بهذا العلم (مزاليج) .. فيقولون : (المزاليج) كما يلحقونها بعلم (بقيق) ، فيقولون : (البقيق) ، وغير هذا وذاك من المسميات التى لعبت العجمة دورها فى تحريفها .. وقد نبهنا على هذا فى حينه عند كشف حقل (مزاليج) ولكن لا حياة لمن تنادى ...

ويلى مزاليج من الناحية الشمالية من هذه الطرق : طريق (مخيط) (وزان مبرد) يسلكه من يفوّز من منهلى (سعد) و(رملان) ، وسمى مخيطا باسم نقى هنالك فى أول الدهناء

غربيها سامق الطول مذروب الرأس كأنه مخيط وهذا الطريق يلى طريق (خريص) جنوبيه إذا سلكته ودخلت (الدهناء) فالتفت يمينك ترى (مخيطا) يسبرك أبرز علم هنالك ..

ويلى (مخيطا) من الناحية الشمالية طريق (الجودى) ، وسمى بالجودى نسبة إلى منهل (جودة) الذى يمر به هذا الطريق بعد اجتياز (الصلب) ، وكان هذا المنهل قديماً يسمى (يجودة) فخذفت ياؤه أخيراً فصار (جودة) ، وبعد منقطع الرمل من هذا الطريق مما يلى (الصمان) كانت هناك شجرة طلح كبيرة تضاف إلى هذه الطريق فيقال : (طلحة الجودى) .. وإياها عنى (الخلاوى) فى وصفه لدحل أبى مروة حيث يقول :

عن طلحة الجودى تواقيم روحة

وعليها شمالى النسور يغيب

وعنها مهب الهيف رجم وفيضة

و(حرورى) أن كان الدليل نجيب

ويليه من الشمال (المبيحيص) وهو يمر بخبرا (الخمة) بالصمان بعد أن يجتاز الدهناء ، ويليه طريق (المنشرحة) (فام الرمم) ، (فالهبابية) (فالأجردى) فطريق حاج البصرة ، ثم طريق حاج الكوفة ، فطريق (لينة) ، فطريق (جبة) (الجوف) .. وكل هذه فجاج وسبل تجتاز هذا الذراع الرملى العظيم الذى ينطلق من الربع الخالى ويذهب مشملاً فمغربًا فيكوِّن فى نهايته شمالاً (رمل عالج) أو صحراء النفود الكبرى كما يسميها المعاصرون ..

والدهناء تضيق فى بعض الأماكن فيبلغ عرضها ٢٢ كيلاً ، وتتسع فى أماكن أخرى فيبلغ عرضها ٩٩ كيلاً وربما أكثر .

وطرائق الدهناء هى حبال متواكبة بينها شقق (صرائم) خالية من الرمل تدعى (خببا) جمع (خبة بكسر الخاء والباء المشددة فتاء) .. قال عنها فى (بلاد العرب) : (فأول حبل من الدهناء إلى الحفر) يقال له (خشاخش) فتقع فى معبر وفيه يقول الراجز :

ليل طويل لك من معبر

ومن حماطين وحبل السرسر

والحماطان حبلان من حبال الدهناء ، وحبل السرسير أيضًا من حبالها ، وجرعاء العكن أيضًا حبل منها .. والصرائم التى بين الحبال لها أسماء .. قال : والدهناء لها سبعة أحبل ..

وإنما تجاز هذه الحبال عرضا ، ولكل حبل منها اسم ، وبين هذه الحبال سهوب من الأرض تدعى (الصـرائم) ، بـين كـل حبلين صـريمة ، وبين كل صريمتين حبل .. ومن صرائم الدهناء : (الجردة) ، و (الجريدة) ، و (صريمة العكن) ، و (الصبيغاء) وهى برقاء بمنقطع الهناء إذا جزت الصبيغاء وقعت فى أبرق يقال له (القنفذ) . ثم إذا جزت القنفذ استقبلت أول الصمان) .. اهـ .

ويبدو من قوله : حبل السرسور هو ما يسمى الآن بحبل السرو .. فالأسماء لهذه الحبال قديماً قد دخلها التحريف والتغيير .. فحبال الدهناء المعروفة الآن هى كما يلى : بدءً من غربيها (أبو الثمام) ، و (الحمرانى) ، و (عمر) ، و (رويكب) ، و (السرو) ، و (جهام) ، و (جهيّم) ، و (عريق الدحول) ..

والدهناء: تعتبر من أخصب مرابع العرب ومراتعهم حتى أنهم قالوا إذا أخصبت الدهناء استوعبت كافة العرب ، وإذا لم تخصب فإنهم فى فقر إلى زيادة إخصاب .. (قال فى اللسان وهى الدهناء سبعة أحبل فى عرضها بين كل حبلين شقيقة وطولها من حزن (ينسوعة) إلى رمل (يبرين) وهى قليلة الماء كثيرة الكلأ ليس فى بلاد العرب مربع مثلها ، وإذا أخصبت ربّعت العرب جمعاء .. وفى حديث صفية ودُحَيْةَ : إنما هذه الدهناء مقيد الجمل هو الموضع المعروف ببلاد تميم) ..

ونباتات الدهناء من الشجر هى الأرطى ، والغضا ، والعلندا ، والعوسج ، والعاذر والعشر ، والثمام ، والحمض .. ومن البقول والأعشاب : الثغام ، الخزامى ، والشقارى ، الصفارى ، الصليان ، الضمران ، العرفج ، العقلى ، القليقلان ، النصى ، الحماط ، الشرشر، الذغلوق ، الربل ، الأرقة ، الرقروق ، الغريراء ، المكنان ، القفعا ، الحمبصيص ، العضيد، الرخيم ، المكر ، الشتيل ، أم ثريب ، البسباس ، المسيكة ، القرنوى ، السبط .. وقد ينبت فى صرائمها - شقيقها - ما ينبت فى الروض ..

وحضنها الغربى مستقر لسيول الأودية التى تنحدر عليها ، فهنالك رياض من أشهر رياض نجد تمتد فى حضن الدهناء كروضة التنهات وخوابيها تصب فيها أودية (الشوكى) وروافده ، و(العتك) وروافده ، و (الطيرى) وروافده .. وهناك (روضة خريم) وخوابيها

يصب فيها (وادى الثمامة) وروافده .. وهنالك مرابخ (المزيرع) ومدافعه يصب فيها (وادى الطوقى) وروافده الكثيرة ، أما مرابخ الدهناء جنوبى خريم فتصب فيها أودية جنوب (العرمة) (المسعودى) ، و (ثيلان) و (الجافى) ، وما خلف طريق خريص جنوباً من المغائض والمرابخ تصب فيها أودية (العرمة) الجنوبية (عشيران) ، و (الحلال) الجنوبى ، و (الحلال) الشمالى و (أبو سدير) ، وغيرها .. ورياض (البجادية) ، (والسهباء) ، و (التوضحيّة) أسفل الخرج تصب فيها أودية (العارض) كلها : وادى (حنيفة) وروافده ، وأودية (عُليّة) ، (نساح) ، و (بلاجين) ، و (العين) ، و (تمير) ، (ماوان) ، و (أثيلان) ، و (أبو سحرا) ، و (السوط) ، وأدوية جنوبى الخرج (برك) ورواقده ، و (العقيمى) وروافده ، و (الثليماء) .. ومن الشمال أودية (نخش العرمة) الجنوبية ، و (الترابى) ، و (الحنيّة) .. كل هذه الأودية تستقر فى (البجادية) و (التوضحية) فى حضن الدهناء من تحت الخرج .. وهنالك أودية (البياض) من تحت (الأفلاج) ، وأودية (الحرشة) ، كلها تستقر فى مرابخ ومدافع فى حضن الدهناء الجنوبى تحت الأفلاح . ومن الشمال هنالك روضة (حيرى العصل) ينصب فيها (وادى العصل) وهنالك أيضاً مغائض تصب فيها سيول (القرشع) قرشع طاسان ، وهكذا .. فلست ترى منظراً أبدع ولا أمتع من هذه الرياض إذا أخصبت وازدانت وازدهرت وتفتح نوارها وغنت أطيارها ، تطل عليها الدهناء بحمرتها الذهبية وتمتد غربها الأودية بطلوحها وغدرها ومحانيها وتطرق هذا وذلك صبا نجد صباحا فيفوج عبيرها ويعبق شذاها .

فيما سائلى عن نجد أو عن رياضه

فديتك هذا بعض ما فى ربا نجد

وفى الدهناء أعلام بارزة وصوى مشهورة تغنى بها الشعراء وسرى ذكرها على ألسنة الرواة ، واستوعبها السفر والأدلاء وسط هذا البحر المتدافعة أواذيه من الرمال ، بها يعرفون الطرق ، ويصفون المنازل ، ويحددون الاتجاه وأمكنة الضوال ..

وقد سبق لنا شىء من ذلك عن (مزاليج) ، و (مزعلات) .. هنالك تل قريب من مزاليج يسمى (حومل) بارز معروف مما حدى

ببعض البـاحثين أن يـرى أن امـرأ القيـس فى معلقته يقصده :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول وحومل

يرى أن (سقط اللوى) هو منعرج الدهناء هنالك ، وأن الدخول هو ما يسمى (الدّخيّلى) شعب من شعاب (النخش) جنوبى (العرمة) يسيل على (التوضحية) ، وحومل هو هذا التل الذى ذكرنا .. و (توضح) المذكورة فى البيت الثانى هى روضة (التوضحية) هذه .. ومع وجاهة ما ذكر هنا إلا أن القرائن ومسار بناء القصيدة ومنازل آل امرىء القيس وبقية الأعلام التى ذكرها مقرونة بهذه الأعلام الآنفة الذكر ، وغير ذلك مما يحتاج إلى بسط فى الكلام ليس هذا موضعه .. كل ذلك لا يجعلنا نطمئن إلى هذا القول ، ولعل لنا عودة إلى إشباع هذا الموضوع فى بحث مستقبل ..

ومن أعلام الدهناء (رجم الشويعر) علم بارز على طريق (مزاليج) ، يعرفه السفر تمام المعرفة ، وفيه يقول ناصر الهزانى يصف ركباً من قصيدة يمدح بها أحمد السديرى أمير الأحساء آنذاك :

لهن من ديرة بنى زيد مسراح

وتلقى لهن رجم الشويعر مصابيح

ومن أعلامها أيضا (دليل) نقى من أنقية الدهناء البارزة مقابل لمنهل (سعد) بكسر السين وإسكان العين فدال ، ويضرب بهما المثل فى قرب أحدهما من الآخر فيقال : (ياقرب سعد من دليل) فالذى على المنهل يشاهد دليلاً ، والذى فوق (دليل) يشاهد من على المنهل ، ويقع (دليل) شمال شرق (سعد) مخرج السماك الأعزل - النسر - وطريق المنطقة الشرقية - طريق خريص - يأتى من بينهما ، وقد أخذ هذا المثل عبد الله بن محمد الصبّى المعروف (بمبيلش) ، فقال من قصيدة حربية يمدح بها الملك عبد العزيز :

لو صلاح الناس فى غارب الجوزا بداه

ما يذل من المخاوف ومن ربه ذليل

هو عمود الدين ما شاف من فتق رفاه

كنه المهدى وياقرب سعد من دليل

ومن أعلامها (خريم) بضم الخاء وفتح الراء فياء ساكنة فميم ، من أطول أنقية الدهناء ، يُرى من أمكنة بعيدة وإليه تضاف الروضة المشهورة من رياض العرمة ، فيقال : (روضة خريم) ، وهو يقع شرقيها من الدهناء ...

ومن الأعلام أيضا (الجلاليّة) (زبارة متلمخة) كبيرة تقع شرقى بلد (رماح) بميل قليل إلى الجنوب ، وفيها جرت وقعة بين قبيلة الدواسر وقبيلة سبيع ، قال فيها شاعر سبيع :

ذيب ياللى عوى عند الجلالية

ابتجح بالعشا من قوم بسام

ومن أعلامها (السَّبيّة) بالسين المفتوحة المشددة والباء المكسورة والياء المكسورة المشددة فتاء مربوطة .. (زبارة) من (زبائر) الدهناء شرقيها قريبة من (حزوى) ، وبها جرت وقعة للإمام تركى بن عبد الله على بنى خالد سنة ١٢٤٥ هـ لم تقم بعدها لبنى خالد قائمة ، ومنها احتل الإمام تركى (الأحساء) .. وهذا الاسم (السبيّة) قديم ذكرها غيلان ذو الرمة فى شعره قال :

وقد جعلوا السبيّة عن يمين

مقاد المهر وانتجعوا الرمالا

ومن أعلامها (حزوى) بضم الحاء وإسكان الزاى فواو مفتوحة فألف مقصورة ، (زبارة) أيضاً من (زبائر) الدهناء مشهورة فى أسفلها مما يلى (معقلا) علم بارز هنالك ، قال عنها الأزهرى : هى جبل من جبال الدهناء مررت به ..

وقال محمد بن أدريس بن أبى حفصة : (حزوى) من رمال الدهناء .. قال عنها بعض الأعراب :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة

بجمهور حزوى حيث ربتنى أهلى

وصوت شمال زعزعت بعد هجعة

آلاء وأسباطاً وأرطى من الحبل

أحب إلينا من صياح دجاجة

وديك وصوت الريح فى سعف النخل

وقال أعرابى آخر :

لئن طلن أيام بحزوى لقد أتت

على ليال بالعقيق قصار

وأنشد ابن أبى حفصة لذى الرمة :

خليلى عوجا من صدور الرواحل

بجمهور حزوى فابكيا فى المنازل

لعل انحدار الدمع يعقب راحة

إلى القلب أو يشفى نجى البلابل

وهنالك (حزوى) أخرى باليمامة بحذاء قرية بنى سدوس لآل معمر الآن ، أميرها الرجل

الفاضل محمد بن فيصل بن معمر .. وهنالك (حزوى) ثالثة بعالية نجد ومن أعلامها (الأعيجم) تصغير أعجم حبل بارز يلتقى فيه السروان (مثنى سرو) ، وهما حبلان معروفان من حبال الدهناء .. وفى (الاعيجم) يقول الشاعر (نصار السهلى) فى محبوبته :

صاحبى مانوى طارى المحدار

راكد والأعيجم مدا هيله

صاحبى يحسبن شدتى مختار

مقفى بالحسايف أنا أخيله

و(نصار) هذا هو الذى يقصده الشاعر المعروف (دبيان عن عساف) يقوله :

صاحبى شد مع ناقلين الكار

مع فريق علىّ ابعدوا داره

مع فريق الجمالين يانصار

من يجينى من العذب بأخباره

شبه وضحى زعوج على القهار

فى نهار الموارید دجاره

حايل ما بعد عاودت لحوار

من مغاتير الأجواد سنجاره

ومن أعلامها (البزيخا) بضم الباء وفتح الزاى وإسكان الياء فخاء مفتوحة فألف .. تصغير بزخاء ، والتسمية تفيد الضخامة والبروز .. وهذه (زبارة) من (زبائر) الدهناء الكبيرة المطلة على (قرشع طاسان) ومرتفع (الدجانى) و (القاعية) جنوبى (نقى الجمل) فى (حومة النقيان) ، وهى التى ذكرها الشاعر الشعبى السبيعى أبو ذيب يصف وقعة بين قومه وبين الظفير ويفتخر بقومه ، قال :

قطعاننا مارددت بالكداد

تلقى لهن حول (البزيخا) معازيب

حنا ذيابة مقرعات التوادى

إلى ركبنا فوق عوج المصاليب

ومن أعلامها (حومة النقيان) ، أى مجتمع الانقاء ، وفى هذه المنطقة تنبث أنقية الدهناء هنا وهنالك حتى لكأنها خيام ذهبية مبثوثة ، وبعضها علم مسمى وله ذكر على ألسنة الرواة ، وبعضها نكرة لا يعرف له اسم .. فمن المعروفة (نقى الجمل) وهو من أبرزها وأشهرها ، ويقال إنه هو الذى أوصى ذو الرمة أن يدفن فيه فدفن ..

وفـى حـومـة النقيـان يقول محمد بن على بن صقية أمير حليفة سابقاً :

حموهـا من (الـوفرا) إلـى (حومة النقيان)
إلى (المستوى) و(السر) و(طويق) يرعونه

مداهيل تلعات المها شرد الغزلان

ثلاث غدن بالزين عن كل مزيونه

ومن أبرزها وأشهرها (نقى المطوع) ، وهو طالب علم من أهل (أشيقر) بالوشم علق حب فـتـاة أفـضى بـه إلى الوجـد والوله والغـرام فتزوجها وهى لم تكن من طبقته نسبا على ما درج عليه عرب ذلك الزمان من حماسة للنسب يفـضى إلى القـتل ، فـكشف أمـره وهددته العشيـرة بالقـتل إذا لم يطلقـها فـأبى وحـملوه معهم فى قافلة ذاهبة للامتيار من إحدى مدن ساحل الخليج العربى وقـصدهم اغـتيـاله إذا وصلوا الدهناء ، وقد عرف قصدهم ، وحينما ، وصلوا الدهناء وقد اصطادوا ظبيا أخذ من دمه فى فنجان ، وجعل يذيب لواعج حزنه وفيض صبابته فى شعر يكتبه بالدم فى ثوبه حتى إذا أفرغـها قـصيدة طويلة شاكيـة باكيـة أسلم روحه لبـارئها فـدفن فى هذا النقى .. يرحمـه الله ..

أما القصيدة فمنها :

الأقفى جزى الأقفى ولاخير فى فتى
يتبـع هـوى من لا يريد هواه
من باعنا بالهجر بعناه بالنيا
ومن جذ حبلى ما وصلت رشاه

أخذ هذا المعنى (الشريف بركات) ، فقال :

قـلتـه على بـيـت قـديم سـمعـته
على مثل ما قال (التميمى) لصحابه
إذا الخـيـل وراك الصـدود فـوّره
صـدود ولـو كـانت جـزايل وهابيه

يقصد بقول (التميمى) : الأقفى جزى الأقفى فى البيتين المتقدمين (مطوّع) أشيقر .. **ومن أعلامها** (حِرَابَة) بكسر الحاء وفتح الراء والباء فتاء مربوطة .. نقى طويل مذروب فى نهاية الدهناء من شرق مما يلى (الحتايف) ، تراه من بعـد كـأنه رمح ، ويعنيـه الشـاعـر الشـعـبى المفـوه (حنيف بن سـعـيـدان) فى قصيدته التى يمدح بها (الدوشان) ،قال منها :

كـزوا لهم من عقب الأمطار عساس
وتبـاشروا بالصـلب كثـر شـرابه
وقاد السلف واستجنبوا قب الأفراس
وحطوا (جنيّح) شدة من (حرابه)

ومن أعلامها (الدويدات) جمع دويد ، وهى أنقية حمر متجاورة علامة فارقة فى المنطقة ، وهن فى موضعين من الدهناء فى (السرو) وفى (جهام) ، وبالمناسبة فقد حدثنى أحدهم قال : كنت مع ثلاثة من أبناء الملك عبد العزيز - رحمه الله - خرجوا من مخيمه فى خريم للقنص ، ولما جاءوا عند (الدويدات) تعطلت سيارتهم فبعثوا محدثى راجلا للمخيم من أجل إسعافهم ، وكانوا آنذاك صغاراً .. قال : فوصلت المخيم بعد لآى وتعب ونصب فوجدت الملك عبد العزيز على أحر من الجمر فاستدعانى وأخذ خبرى ، وقال هل هم فى (دويدات السرو) وإلا فى (دويدات جهام) ؟ قال : فبهت لأننى لا أعرف هذه من هذه فنهرنى فتلعثمت وقلت فيهن كلهن فضحك وانصرف عنى وأمر بإسعافهم فى الحال .. قلت رحمك الله يا عبد العزيز فقد قتلت أرض الجزيرة معرفة واستيعاباً تجوبها غازياً أو مسافراً أؤ متفقداً حتى عرفتك وعرفتها فلم يخف عليك منها شبر .. ومن أعلامها أيضاً (نقى سبيت) ، وهو من أبرز أنقية الدهناء وأشهرها ، ولا نعلم من هو سبيت هذا الذى أضيف إليه هذا النقى .

ويطول بنا الدرب لو ذهبنا نعدد أعلام الدهناء وما لها من مناسبات ، ولكن يكفى أن نسرد ما تيسر لنا منها سردا .. فمنها (نقى التنهات) ، (البدرية) ، و (الكناسية) ، و (أوتاد) ، و (الشاوية) ، و (جو صياح) ، و (جو جهام) ، و (الطويسة) ، و (سريهيدة) ، و(أم رقيبة) ، و(السنافية) ، و (كنهرى)، و (الهدب) ، و (حرورى) ، و (عدامة دغيم) ، و (الحصانة) ، و (اليتيمة) .. إلخ .

ويتخذ العرب الدهناء ملاذا عن الأعداء المغيرين ينطوون فى كثبانها ومتداخلاتها ، ويجدون فيها ملجأ لهم يحصنهم من أعدائهم .. أغار قوم على آخرين وكان المغار عليهم فى (الضمان) مما يلى (الدهناء) ، وقبل أن يفاجئوا المغاز عليهم وجد المغيرون شخصاً منهم فاعتقلوه لئلا ينذر قومه ، وبعثوا بعين منهم كأنه ضيف ليستجلى خبر القوم ويكشف عدتهم واستعدادهم قبل أن يغيروا عليهم . . ولما همّ هذا العين بالذهاب قال للمعتقل : إنى ذاهب إلى أهلك ضيفاً فماذا توصينى به لهم .. قال قل لهم إن الأرض مجرودة فليعروا جملى الأصهب ويركبوا ناقتى الحمراء حتى آتيهم .. وكان فى هذا الرمز لهم أكبر نذير .. فالجراد هو العدو المغير ، والجمل الأصهب هو الضمان ، والناقة الحمراء هى الدهناء .. فبادروا بركوب الدهناء وأخفق المغيرون مما كادوا أن ينالوه .. ولقد تغنى الشعراء بالدهناء وقالوا فيها كثيراً نقتطف من ذلك ما تسنى لنا :

قال أعشى همدان يصف لصوصاً :

يمــرون بالــدهـنا خـفافا عــيابهـم

ويرجعن من (دارين) بجر الحقائب

على حـين ألهـى الناس جل أمورهم

فنـدلا زريــق المــال نــدل الثعــالب

وقال أعرابى حبس بحجر اليمامة :

هـل البـاب مفـروج فانـظر نظرة

بعين قلت حجرا فطال احتمـامها

ألا حـبذا الــدهنا وطيــب تـرابهـا

وأرض خلاء يصدح الليل هامهـا

ونص المهارى العشيات والضحى

إلى بقــروحى العــيون كــلامــها

وقال كثير :

كـأن عـدو ليـا زهاء حمـولها

غدت ترتمى الدهنابه والدهالك

وقال آخر :

جـازت القــور والمخارم أماً

ثـم مــالت لجـانب الـدهنـاء

وقالت العيوف بنت مسعود أخى ذى الرمة :

خليلى قوما فارفعا الطرف وانظـرا

لصـاحـب شـوق منــظرا مـتراخيـا

عسى أن نرى والله ما شاء فـاعـــل

بـاكثــبة الـدهنـا مــن الحـى بـاديا

وإن حال عرض الرمل والبعد دونهـم

فقد يطلـب الإنســان ما ليس رائيا

يـرى الـلـه أن القلب أضحى ضميره

لما قــابل الــروحـاء والعــرج قـاليا

وقال ذو الرمة :

حنت إلى نعم الدهناء فقلت لها

أمى (هلالا) على التوفيق والرشد

الواهب المائة الجرجور حانية

على الرباع إذا ماضن بالسبد

وقال أيضاً

غــــراء آنســـة تبـــدو بمعــقـلـة

إلــى ســـويقــة حتــى تحــفر الحــفرا

تشتو إلى عجمة (الدهناء) ومربعها

روض ينــاصـى أعــالى مــيثة العـفرا

وهكذا يكثـرون من ذكـرها ، ويحنون إلى أجارعها ووعاسها وشقائقها وصرائمها ..

وأخيـراً فـإن الدهناء (بنيـة) تمد وتقـصـر على خلاف بين البصريين والكوفيين فى ذلك .. هذا هو حــديث (الدهناء) وقــد شــاهدتُ أعلامـها وجبتُ سهولها وسهوبها ووقفت فيها وقفات المتأمل وما أبرىء نفسى ،

عبد الله بن محمد بن خميس

عضو المجمع المراسل

من السعودية